الخاتمـــة

يمكن أن نستخلص من هذه الدراسة الأخلاقية بعض النتائج المهمة فى فلسفة برتراند رسل، وهى على النحو التالي:

1. يعد الفيلسوف الإنجليزى برتراند رسل رائدًا من رواد الفلسفة الغربية فى القرن العشرين الميلادى، بل يعد من أبرز فلاسفة المنطق والتحليل اللغوي فى الفلسفة الأوروبية بوجه خاص، كما يعد رسل شيخ الفلاسفة المعاصرين بلا منازع، ويمثل مع صديقه «جورج إدوار مور» أحد دعائم الفلسفة الواقعية الجديدة، ومن أبرز ممثلي الفلسفة التحليلية فى الفكر الفلسفى المعاصر.

2. تعد فلسفة الأخلاق عند رسل مجموعة من المبادئ العامة التى تساعد فى تحديد القواعد التى يسير بمقتضاها السلوك البشرى. وليست مهمة فلسفة الأخلاق أن تقول للمرء كيف ينبغى أن يسلك فى ظروف معينة لأن هذه مهمة الوعظ والإرشاد الديني. بل عمل الأخلاق هو تعقب القواعد الخلقية إلى أصولها التى تفرعت عنها.

3. لقد أكد رسل على التمييز ما بين فلسفة الأخلاق والمشكلة الخلقية، حيث رأى أن الأولى عبارة عن نظرية أخلاقية تحاول الوصول إلى المفاهيم والتصورات، وتستخدم عندما يكون الأمر متعلقًا بالتحليل، والكلمة المعبرة عنها فى الإنجليزية هى Ethics، فى حين استخدم رسل كلمة Moral للتعبير عن المشكلة الخلقية، وتعنى خلقى، حيث تتعلق بالأحكام المعيارية، ومن ثم تكون صلتها بالسلوك الإنسانى ومشكلاته من خلال المعيار Norm.

4. يعد رسل من الفلاسفة القائلين بنسبية القيم الأخلاقية، حيث يرى أن القواعد الأخلاقية نسبية ومتباينة حسب الظروف والأحكام الإنسانية، وعليها يعد رسل من الفلاسفة الذين يؤكدون أن الأحكام الأخلاقية فى جوهرها أحكام وجدانية تستند إلى العواطف وترتكز على الانفعالات، وهى بطبيعتها أحكام نسبية تختلف من مكان إلى مكان، ومن زمان إلى زمان، ومن

فـرد إلى فرد، بل هى تختلف لدى الفرد الواحد باختلاف حالاته الوجدانية، وذلك على النقيض من المبادىء الأخلاقية التى تصدق فى كل زمان ومكان (القيم الأخلاقية المطلقة).

5. لقد فطن رسـل إلى ضرورة وجود القيم الأخلاقية فى المجتمعات، حيث أكد على أهمية المجتمع فى تحديد السلوك الإنسانى، مما يجعل الإنسان فى حاجه ماسة إلى بني جنسه، فالإنسان- كـما يراه رسـل- فى أخلاقه: عبـارة عن حيوان شـبه اجتماعي، فليس هو فرديـة متطرفة، ولا هو كائن عديم القيمة وسـط الأحداث الصاخبة داخل مجتمعه، ولكن العلاقة قائمة بين الفرد والمجتمع. فالإنسان حيوان يعيش باستمرار فى صحبة غيره من بني الإنسان.

6. يعد رسل من الفلاسفة النفعيين، الذين يؤمنون بالمنفعة العامة فى سبيل سعادة المجتمع، وهو يشبه كل من «جيرمى بنتام» و«جون ستيوارت مل». ويكمن مضمون النظرية النفعية، باختصـار شـديد فى كون الخير هو اللذة، والشر هـو الألم، وأن أفضل حالة يمكن بلوغها هى تلك التى يبلغ فيها تفوق اللذة على الألم أقصى مداه. وقد تبنى رسـل هذه النظرية فى بدء حياته الأكاديميـة، وسـار فيها على منهج «جون سـتيوارت مل»، ولكنه تخلى عنهـا فيما بعد لظروف عائلية خاصة.

7. لقـد أكد رسـل على ماهيـة المثل الأعلى فى فلسـفة الأخلاق، فرأى أنـه ليس مجرد رغبة شخصية أو مصلحة خاصة، كرغبة الإنسان فى أسباب راحته أو الحصول على طعامه ومسكنه، فالمثل الأعلى لا علاقة له قط بذات الشخص الذى يشعر بالرغبة فيه، بل هو موضوع رغبة كل إنسان، دون الالتفات إلى الأهواء والمصالح الشخصية.

8. لقد صاغ رسـل بعض المضامين الأخلاقية تحت سـيطرة المفاهيم والأسـس السياسـية، وبصفة خاصة عند تحليله لماهية السلطة فى الأخلاق، حيث قسم رسل السلطة إلى سلطة إلهية تأتى عن طريق الخوف من الله طمعًا فى دخول الجنة، والبعد عن النار، وقد قام رسل باستبعادها كركيزة فى فلسفة الأخلاق، بينما عند تحليله لسلطة الضمير الأخلاقي جاءت أفكاره متسقة إلى حد ما على الرغم من أن فلسـفته فى الضمير لا تسـاوى شـيئًا إذا ما قورنت بأفكار «بتللر» عن الضمير فى فلسفة الأخلاق.

9. لقد آمن رسل فى بدء حياته الأكاديمية فى كيمبردج بالنزعة المثالية الألمانية، كما كانت

عند كل من كانط، وهيجل، حيث تتلمذ على يد بعض الفلاسفة المثاليين أمثال، «ماكتجارت»، و«بوزانكيت»، و«جيمس وورد»، و«ستوت»، حتى سار رسل فى ذلك الوقت هيجلى النزعة، إلى أن جاء صديقه «جورج مور» وقام بثورته على الفلسفة المثالية، فى مقاله المشهور «تهافت المثالية» عام 1903م، الأمر الذى جعل رسل يتخلى عن نزعته المثالية، ويتجه صوب الواقعية الجديدة.

10. لقد تبنى رسل النظرية الحدسية فى الأخلاق فى مقاله المعنون بـ»عناصر النظرية الأخلاقية»، حيث سار فيها على نفس المنهج الذى وضع خطوطه «جورج إدوارد مور» فى «أصول الأخلاق»، حتى جاءت حدسية رسل الأخلاقية عبارة عن صورة من صور الميتا أخلاق التحليلية، القائمة على منطق التصورات الأخلاقية، وهى الصورة التى تقرر أن الخيرية الأصيلة عبارة عن خاصية بسيطة، وغير قابلة للتحليل أو التعريف، إلا أن رسل أضاف إلى حدسيته الأخلاقية مفهوم «الصواب».

11. لقد تخلى رسل عن نزعته الحدسية فى موضوعية الخير والشر تحت تأثير ما كتبه «جورج سانتيانا» فى مقاله «الأخلاق السكونية» الذى نشره فى «رياح المذهب». حيث رأى «سانتيانا» أن نظرية رسل الحدسية فقدت دعائمها الميتافيزيقية، وبالتالى تحطمت على الأرض كما يتحطم طقم الأطباق الفيكتورى الصينى Victorian China فهي نظرية لا يمكن التصديق بها والإيمان بها بدرجة كلية.

12. إن ما كتبه «سانتيانا» فى «رياح المذهب» جعل رسل يهجر النفعية المثالية لمور، ويتجه صوب النظرية الإنفعالية أو العاطفية التى عبر عنها فى كتابه «الدين والعلم»، وتعد هذه النظرية من أهم النظريات التى تحاول فهم اللغة الأخلاقية عن طريق مفهوم «الرغبة»، وقد كان لرسل السبق عن كل من «ألفريد جولس آير» و«ستيفنسون» فى القول بالنظرية الإنفعالية، والعلاقة بين منطق اللغة الأخلاقى ومنطق التفكير.

13. لقد قرر رسل الفصل بين العلم والأخلاق، حيث رأى أن العلم ينهض على المعرفة الموضوعية لا على الرغبة والحماس العاطفى، كما أن العلم لا يستطيع أن يحسم مسائل القيمة. لذلك رفض رسل أن يضفى على «الأخلاق» صفة المعرفة العلمية، وذلك لأنه ليس ثمة معرفة

علميـة من قبيل الصـدق والكذب فى الأحـكام الأخلاقية، بل لا توجـد مصطلحات أخلاقية تكون بمثابة كلمات نهائية، وقد سـايره فى ذلك «هانز ريشـنباخ» وعدد من فلاسـفة الوضعية المنطقية.

14. تميـزت النظرية الإنفعالية التى نادى بها رسـل، بتأكيدها القـول بـ»الذاتية القيمية»، حيث تنشـأ القيم الأخلاقية عن ذات قائلها بكل ما تضم من ميول ورغبات ووجدانات، وهى أحكام ذاتية تنبثق من الذات الحاسـة بكل ما تضم من أحاسـيس ومشـاعر، وقد اتفقت هذه النزعة الذاتية لرسل مع ما جاء به «رودلف كارناب» فى قول الأخير بخلو العبارات الأخلاقية من كل معنى معرفى.

15. يمكـن القـول بـأن المرحلة الأخـيرة فى تطور رسـل الأخلاقـى، قد جـاءت فى كتابه «المجتمع البشرى فى الأخلاق والسياسـة» وقد تبنى فيها «الطبيعية الأخلاقية» كما كانت عند كل من «سانتيانا»، و«جون ديوى»، و«رالف بارتون بيرى» و« كلارنس ارفنج لويس». و إن كان رسـل لم يفصح القول فى كتابه بوجود الطبيعية الأخلاقية، إلا أن نصوصه الواردة فى هذا الكتاب خير دليل، وأبلغ تعبير عن تبنيه لـ»لطبيعية الأخلاقية» فى آخر حياته.

16. لقـد خرج رسـل مـن النظرية الفلسـفية إلى التطبيـق عندما تناول موضـوع الزواج وأهميته فى بناء الأسرة والحصول على الحياة الكريمة، فرأى أن الزواج عبارة عن علاقة قائمة بين الرجال والنسـاء، وهو يختلف عن باقى العلاقات الجنسـية الأخرى من خلال حقيقته، حيث يتم تأسيسـه على شرعية قانونية ودينية، وبالتالى يعد الزواج صورة قائمة على الشرعية الدينية، ومحكومًا بالشرعية القانونية التى تعد ضرورية فى بناء الأسرة.

17. لقـد اتخذ رسـل لنفسـه موقفًا «لا أدريًـا» تجاه الإيمـان بالأديان، وقد عـول على ذلك الموقف الذى تبناه فى كتاباته الفلسفية، وبخاصة فى كتابه «لماذا لست مسيحيًا»، حيث هاجم فيه رسـل الكنيسـة وتعاليمها- فرآها عائقًا فى سـبيل الوصول إلى السـعادة فى أمور الزواج. بل أكد رسـل على أن المسيحية سبب من أسـباب تعاسة الزوجين، حيث قامت المسيحية بتحريم الطلاق الذى كان مباحًا للرجل قبل ظهورها، واعتبرت عقد الزواج مقدسًا ولا يمكن للزوجين الإنفصال مدى الحياة.

18. لقد تمادى رسل فى تمجيد الجنس والحرية الجنسية إلى الحد الذى جعله يرى أن الجنس عبارة عن نظرية معرفية، فحاول أن يطبق نظريته هذه على أرض الواقع، فرأى أن حياة معظم طلبة الجامعة ستكون أفضل من الناحية الفكرية والأخلاقية، إذا عقدوا زيجات مؤقتة دون إنجاب أطفال. ولكن هذه الرؤية التى قدمها رسل تتعارض مع الدين، فهو لم يضع الدين رادعًا للحرية الجنسية، بل سخر من شخصية المسيح وحكمته، لدرجة جعلته يرى فى الفلاسفة القدامى حكمة تفوق حكمة المسيح، ويتضح موقفه هنا أكثر عندما قارن بين المذاهب الثلاثة فى المسيحية، وموقف كل منها تجاه الأخلاق الجنسية.

19.أن الحب من أعظم القيم فى الحياة الإنسانية، فهو يعلو على كل رغبة فى الممارسات الجنسية، كما يعد الوسيلة الأساسية من أجل الهروب من حياة العزلة التى تصيب معظم الرجال والنساء. وأن ازدهار عاطفة الحب فى بعض المجتمعات، وعدم ازدهارها فى بعضها الآخر، إنما يرجع إلى الاختلاف فى العادات والتقاليد الموروثة، وقيم هذه الأفراد، وليس إلى اختلاف فى طبيعة الأفراد.

20. لقد أباح رسل الحرية العاطفية، كما أباح الحرية الجنسية، فتخلى عن تقاليد الزواج بواحدة، لأنه لما كان قد قرر بالجدل العقلي أنه يحبذ الحرية فى الحب، فقد شعر أنه لزامًا عليه أن يضع ما يحبذه موضع التنفيذ، ففى فترة من فترات حياته الزوجية مع «دورا» ضرب رسل مثلاً حيًا على وضع نظرياته موضع التنفيذ، إلى الحد الذى سمح لواحد من عشاق دورا أن يعيش معهما تحت سقف واحد.

21. لقد رأى رسل أن غاية الحياة التى يسعى الإنسان وراءها هى السعادة، كما كانت عند سابقيه من الفلاسفة الإنجليز، ويصل الإنسان إليها بمكافحة الخوف، وبتأكيد الشجاعة عن طريق التربية، وبإيصال البشر إلى درجات متصلة من الكمال فى كافة نواحي الحياة الإنسانية. كما رأى أن أكثر الناس حظًا فى حصولهم على السعادة هم رجال العلم، وعلى النقيض نراه يخفض من قيمة الفنانين والرسامين، ورجال الفنون، بوصفهم أقل الناس حظًا فى السعادة لأسباب ترجع إلى تكوينهم النفسي.

22. لقد أكد رسل على أن عناصر السعادة فى الحياة أربعة، أولها: الصحة، حيث أن هناك

حالات صحية تمنعك فعلاً من أن تكون سعيدًا، فالصحة تجعل المرء سعيدًا، والإنسان السعيد أقل تعرضًا للمرض من غيره. وثانيها: المال أو كما أسماه رسل «المداخيل» - فالمال لون من الحاجة الدنيا، وأكثر الناس يعيش فى رعب مخافة زوال المال. وثالثها: الصداقة، أو الحب، أو العلاقات التى تربط المرء بغيره من البشر، حيث رأى رسل أن الحب هو سبب الإحساس بالآمان، فالذين يواجهون الحياة بإحساس الآمان هم أسعد من أولئك الذين يواجهونها بإحساس عدم الآمان. ورابعها: العمل المؤدى إلى النجاح، فالعمل هو الوسيلة الفريدة والغاية الوحيدة للسلوك الأخلاقى.

23. يرى رسل أن الإنسان السعيد هو ذلك الإنسان الذى يحيا بموضوعية، والقادر على تحقيق الحياة الكريمة التى تجعله يحيا بعيدًا عن البؤس والضيق والحسد وغيرها من الأمور التى تعمل على تعاسة الحياة، بالإضافة إلى أن الإنسان السعيد يمتلك العواطف الحرة والاهتمامات الواسعة، و يضمن سعادته من خلال هذه العواطف الحرة، لأنها تجعله فى موضع حب واهتمام الكثيرين.